

SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 4، العدد 4، أكتوبر 2018

e-ISSN: 2289-8468

CRITICISM OF OPINIONS ON THE STATUS OF ARABIC GRAMMAR AMONG ARABS

نقد الآراء حول وضع النحو العربي عند العرب

شاه رخ رؤوفي

أ.م.د صالحة يعقوب

آدم عبد الرحمن

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

2018 – 1440

ARTICLE INFO
Article history:
Received 4/7/2018
Received in revised form 25/7/2017
Accepted 18/9/2017
Available online 15/10/2018
Keywords: Arabic Grammar, Originality, Foreign Traditional Sources, Orientalist, Modern Scholars

ABSTRACT

The research highlights some explanations on the status of Arabic grammar and its origin with the statement that Abu al-Aswad al-Duali was not the author of it. To develop the research presentation, the research discussion focuses on orientalists' views toward Arabic language as well as the modern views among the Arabs also will be accounted. Therefore, based on consistent narratives and logical arguments by scholars indicated that there was no connection between Aristotle and Sibawayh. The statement had referred to the different concepts and terminologies usage in the both languages Arabic and Greek. The analysis which base on critical study as a method approach discovered the unbalance statements are still unable to defect the authenticity of great narrations and logical arguments of the clarity of Arabic grammar as a result of culture preservation as well as Quran understanding defense.

Keywords: Arabic Grammar, Originality, Foreign Traditional Sources, Orientalist, Modern Scholars

ملخص

يرنو هذا البحث إلى بيان وضع النحو العربي ونشأته ومدى صحة القول بأن أبا الأسود الدؤلي لم يكن واضع النحو العربي، وأن العرب ـــ قاطني القارة الآسيوية ـــ تلقوا مبادئ نحوهم عن غيرهم وتأثروا في وضع نحوهم بالتراث الأجنبي. فقد قام الباحث بإيراد الروايات وآراء العلماء في هذا المجال، وتطرق إلى آراء المستشرقين الذين رأوا أن النحو



العربي تأثر بالتراث الأجنبي ومن تبعهم في هذه النظرة من العرب المحدثين، ثم بيّن أن أقوال المستشرقين لم تقم على رواية ثابتة وحجة منطقية وإنما الروايات القديمة والحديثة في التراث العربي واليوناني تؤيد أنها لم تكن أية صلة بين نحو أرسطو ونحو سيبويه، كما تختلف طبيعة كل لغة في تناول المفاهيم والمصطلحات. وعليه قام الباحث بعد السرد التاريخي لبعض الروايات والآراء، بتحليلها ونقدها حتى يتبين حقيقة افتراضات المستشرقين ومن أدلى بدلوه من العرب المحدثين في هذا المضمار، ومدى صحة تأثر النحو العربي بالتراث الأجنبي، فقد توصلنا إلى أن هذه الافتراضات لا ترقى على مستوى الروايات الموثوقة والحجج المنطقية التي تثبت بأن النحو العربي نشأ في بيئة عربية آسيوية، لحاجة اقتضتها ظروف العرب لانتشار اللحن في المجتمع، وحاجة تعلم اللغة للناطقين بغيرها، وحفظ القرآن الكريم من سوء الفهم.

كلمات مفتاحية: النحو العربي، الأصالة، التراث الأجنبي، الاستشراق، المحدثون

مقدمة

كان العرب منذ القديم شـديدي العناية بلغتهم، وكان جل اهتمامهم على الذاكرة، فكان الشـعر ديوانهم، يحفظون به أخبارهم ونوادرهم وحكمهم. وكان من شدة عنايتهم باللغة تحريهم سلامة النطق وتجنب اللحن في الكلام، فاعتبروا اللحن هجنة للشريف، وكان يقول أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ لأن أقرأ فأُسْقِط أحبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن[1]، كما كان يواظب عبد الملك بن مروان على لغته ويحرص ألا يقع في اللحن "قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: أَسْـرَعَ إِلَيْكَ الشَّـيْبُ. فَقَالَ: شَيَّبَنِي ارْتِقَاءُ الْمَنَابِرِ وَخَوْفُ اللَّحْنِ"[2]، وقد أمر عمر ـ رضي الله عنه ـ أحد ولاته بضرب كاتبه في اللحن الذي وقع فيه[3]، هذا وقد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصحابة بأن يعلموا أخاهم حينما وقع في اللحن "عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا قَرَأَ فَلَحَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ"[4].

فحينما توسـعت دائرة الفتوحات الإسـلامية، وانتشـر العرب في البلاد المفتوحة ودخلت شـعوب مختلفة في الإسلام، واتجهت وفود من الأعاجم إلى الجزيرة العربية بغية التفقه في الدين، وتعلم اللغة العربية، كثر اللحن في أوساط المجتمع الإسلامي الجديد سواء من العرب أو العجم، فيكاد يجتمع كل الروايات التي تنقل سبب وضع النحو إلى ظهور اللحن في العربية، وهذا لا ينافي ما ذهب إليه أبو حيان التوحيدي من أن علامات الإعراب كانت للمتعلمين من

---

1 جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج2، ص341.

2 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، ج3، ص533.

3 انظر: ابن جني، **الخصائص**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د ت)، ج2، ص10.

4 أبو عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، ج2، ص477.

العجم والمنطقيين لتيسير تعلم اللغة واختصار قواعده؛[5] ويؤيده ابن جني في "الخصائص" في تعريفه للنحو[6]، وكما يعلل ابن خلدون أن الفساد في ملكة اللسان قد تعدى إلى العرب حينما ابتعدوا عن بيئتهم وخالطوا العجم، فكان منهم أن استنبطوا من مجاري كلامهم قوانين يقيسون عليها سائر أنواع الكلام،[7] فعليه، أنهم وضعوا النحو حينما أحسوا خطرا على فهم القرآن والسنة، فكان وضع القواعد حفظا على سلامة اللغة وغرضا لتعلم الناطقين بغيرها لئلا يسري هذا الفساد إلى كتاب الله وسنة رسوله ويقع المسمون في سوء فهم فيهما.

والذي يمعن النظر في الروايات الواردة في كتب التراث يجد طعنا على لغات أهل السواحل لمخالطتهم الأجانب في الأسفار والتجارات[8]، غير أن قبائل العرب حافظت على سلامة اللغة في بيئتها، حتى كثر الأجانب في المجتمع الإسلامي وظهرت ملامح اللحن في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتشر كلما توسعت دائرة الفتوحات واختلط الأعاجم بالعرب في البلاد المفتوحة، إلا أن الخوف على العربية لم يكن السبب الوحيد الذي جعلهم يتبادرون في وضع النحو وإنما خوفهم على فساد الفهم في القرآن وأحكامه جعلهم يهرعون إلى تدارك الأمر، وما أدى إليه من عمل أبي الأسود الدؤلي في وضع نقط القرآن يثبت أن نشوء النحو العربي كان لخدمة القرآن الكريم، فـ"النحو إذن نشأ "لفهم" القرآن، وفرق كبير بين علم يسعى "لفهم" النص وعلم يسعى "لحفظه" من اللحن، ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي، ومحاولة "الفهم" هذه هي التي حددت مسار المنهج لأنها ربطت درس النحو بكل المحاولات الأخرى التي تسعى إلى فهم النص، من ثم فإن دراسة منهج النحو عند العرب لا تكون صحيحة إلا مع اتصالها بدراسة العلوم العربية الأخرى وبخاصة الفقه والكلام"[9]. فالذي يتبين من هذه الروايات هو أن الأخطاء اللغوية التي فشت بين العرب والعجم، وحاجة العجم إلى تعلم اللغة العربية، وضرورة فهم القرآن الكريم وأحكامه هي التي جعلت القوم على الاجتهاد في وضع قواعد العربية، ولا يخفى على أحد الباعث الديني في كل هذا.

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن، من الذي وضع قواعد العربية؟ وهل اطلع العرب على آداب الملل الأخرى أم

5 "فأما الرفع والنصب والخفض والجزم والإدغام والإمالة وأشباه ذلك، فألقاب وضعها النحويون للمتعلمين من العجم والمنطقيين، ليقربوا لهم البعيد، ويجمعوا الشتيت" التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، **البصائر والذخائر**، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، (دمشق: مكتبة أطلس، 1965م)، ج2، ص 67.

6 "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة" ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج 1، ص35.

7 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط3، د.ت)، ج3، ص1265ـ1266.

8 سعيد الأفغاني، **من تاريخ النحو**، (الكويت: مكتبة الفلاح، 1980م)، ص7.

9 عبده الراجحي، **دروس في المذاهب النحوية**، (1988م)، ص10.

استنبطوا قواعدها من لغتهم دون تأثر بالتراث الأجنبي؟ فلنا أن نراجع كتب الطبقات وروايات العلماء الثقات في وضع النحو العربي، وأول من قام به، فيتطلب الأمر أن نسرد روايات حتى يظهر لنا كيفية بدء قواعد العربية.

تأدب المسلمين الأوائل في نسبة العلوم

روى لنا كتب التراث روايات شتى في بداية وضع النحو العربي، تكاد تنحصر على نسبة وضعه على رجل واحد وهو أبو الأسود الدؤلي، اللهم إلا ما ورد عند الأنباري في نسبة النحو إلى علي ـ رضي الله عنه ـ، وأما الروايات:

فأقدم هذه الروايات ما ينقله ابن سلام الجمحي (ت 232هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء أن "أول من أسس الْعَرَبيَّة وَفتح بَابهَا وأنهج سَبِيلهَا وَوضع قياسها أَبُو الْأسود الدؤلي ... فَوضع بَاب الْفَاعِل وَالْمَفْعُول بِهِ والمضاف وحروف الرّفْع وَالنّصب والجر والجزم "[10]. كما أذعن ابن قتيبة (ت 276هـ) لأبي الأسود بوضع العربية[11]، ذهب إليه المبرد (ت 285هـ)، وأورد أبو بكر الأنباري[12] (ت 328هـ) روايات تنسب وضع النحو إلى أبي الأسود.[13] كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) كلاما عن صلته بالخليفة علي ـ رضي الله عنه ـ وتوليته أمر البصرة بعد ابن عباس ـ رضي الله عنه ــ ويذكر أنه الأصل في بناء النحو وعقد أصوله.[14] وقد ذكر الزبيدي (ت 379 هـ) في كتابه طبقات النحويين واللغويين أن "أولَ مَن أصَّل ذلك وأعمل فكره فيه، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤليُّ، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هُرْمز. فوضعوا للنحو أبوابًا، وأصَّلوا له أصولًا؛ فذكروا عوامل الرَّفْع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف. وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم"[15]. ومما يؤيد نسبة الوضع إلى أبي الأسود ما روى ابن النديم (ت 438هــ) في الفهرست أنه رأى وريقات بخط يحيى بن يعمر تدل على

---

10 محمد بن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني)، ج1، ص12.

11 ابن قتيبة، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، ص434.

12 أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة ابن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب؛ كان علامة وقته في الآداب وأكثر الناس حفظا لها، وكان صدوقا ثقة دينا خيرا من أهل السنة، وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل (2) والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة وكتاب الزاهر. (ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط1، 1971م)، ج4، ص341.)

13 "وحدثني أبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان بن بشر قال: حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال: أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي ... وحدثني أبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: وحدثني التوزي قال: سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول: أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي". محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، **إيضاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1971م)، ج1، ص 4439.

14 انظر: أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، ط2، د ت)، ج12، ص346 و348.

15 محمد بن الحسن الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط2)، ج1، ص11.

أن النحو عن أبي الأسود ولكنها ضاعت بضياع صاحبها.[16]

وأما أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت 577) يذكر في كتابه "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" روايات مختلفة عن اهتمام ولاة أمور المسلمين بوضع النحو؛ منها ما ينسب وضع النحو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قدم أعرابي إلى المدينة وقال: "من يقرئني شيئاً مما أنزل الله على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: أن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه، بالجر، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه! فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله! فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: أن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه، فقلت: أو قد برئ الله تعالى من رسوله! إن يكن برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فقال له عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ القرآن إلا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود أن يضع النحو. ومنها ما ينسب إلى علي رضي الله عنه حينما سمع أعرابياً يقرأ: "لا يأكُلُه إلا الخاطئين" فوضع النحو. ومنها ينسب وضع هذا العلم إلى أبي الأسود وهو الذي ألح على زياد بن أبيه بأن يأذن له " أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم. ومنها ما يرى أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. وهناك من يرى أن أول من وضع النحو نصر بن عاصم"[17]. وعيله يرى أبو البركات الأنباري أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يصرح بأنه أخذ حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه[18]. كما أن ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ينقل: " وقال أبو علي القاليّ: حدثنا أبو إسحاق الزجاج، حدثنا أبو العباس المبرد، قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمّن نهج له الطريق، فقال: تلقيته عن علي بن أبي طالب"[19]. مع أن الروايات كلها تنسب وضع النحو العربي إلى أبي الأسود الدؤلي، إلا أن الدكتور شوقي ضيف له رأي آخر.

ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن هذا لا يوافق وطبائع الأشياء، وذهب إلى أن الروايات قد تم تلفيقها على يد الشيعة، ويقول: "طبائع الأشياء تنفي أن يكون قد وضع ذلك، ونفس الرواية السالفة وما أشبهها من الروايات تحمل في تضاعيفها ما يقطع بانتحالها لما يجري فيها من تعريفات وتقسيمات منطقية لا يُعقل أن تصدر عن علي بن

16 انظر: ابن النديم، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1997م)، ص63.

17 ابن الأنباري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (الأردن: مكتبة المنار، 1985م)، ص19-21.

18 ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص21-22.

19 ابن حجر العسقلانى، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج3، ص 455-456.

أبي طالب أو عن أحد من معاصريه، ولعل الشيعة هم الذين نحلوه هذا الوضع القديم للنحو الذي لا يتفق في شيء وأولية هذا العلم ونشأته الأولى"[20]، ويظهر أن نحلهم إياه وضعَ النحو قديم، إذ نجد ابن النديم يقول: إنه رأى عند بعض الوراقين أربعة أوراق عن أبي الأسود كتبها يحيى بن يعمر المتوفى سنة 129 للهجرة وفيها كلام في الفاعل والمفعول"[21]. واعتبر شوقي ضيف هذا من عبث الرواة الوضاعين المتزيدين، "فظن بعض الرواة أنه وضع النحو، وهو إنما وضع أول نقط يحرّر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم بأمر من زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله .. وكان هذا الصنيع الخطير الذي سمي باسم رسم العربية سببا في أن يختلط الأمر فيما بعد على الرواة فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو وشيئا من أبوابه، وهو إنما رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقْط أواخر الكلمات فيه"[22]. فشوقي ضيف لا يرى هذه الروايات كافية بأن نعتبر أبا الأسود واضع علم النحو، وإنما هو وضع نقط الإعراب على أحرف القرآن الكريم. ويعتبر أبا إسحاق الحضرمي المتوفى سنة 117 للهجرة أول نحوي.

كما يقول فؤاد حنا ترزي "ولعل مما يتنافى وطبيعة الأمور أن يجيء هذا العمل طفرة واحدة دون أن يحتذي نظيرا له في لغة أخرى كانت قد سبقت العرب إلى تدوين نحوها"[23]. وليست نشأة النحو العربي طفرة واحدة، وإذا أمعنا النظر في بدايات النحو لدى أبي الأسود الدؤلي من نقط المصحف والذي تبعه ببعض قواعد العربية كما يذكره ابن سلام الجمحي وهو رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف، ثم ما كان من جهود تلامذة أبي الأسود، وما قام به ابن أبي إسحاق حتى وصلنا إلى الخليل وسيبويه، فكمل الصرح بكتاب سيبويه بعد قرن من الزمان ونيف. وليس كما ظن الدكتور شوقي ضيف ابن أبي إسحاق أول نحوي، فكم كان دقيقا ابن سلام الجمحي حين قال أول من أسس الْعَرَبيَّة وَفتح بَابهَا وأنهج سَبِيلهَا وَوضع قياسها أَبُو الْأسود الدؤلي[24]، وأول من بعج النَّحْو وَمد الْقيَاس والعلل هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[25]. وكما قال أبو طيب اللغوي عن ابن أبي إسحاق: "هو أعلم أهل البصرة، وأعقلهم، فرّع النحو، وقاسه وتكلّم في الهمز حتى عمل فيه كتابا مما أملاه"[26]. فرأي شوقي ضيف يخالف ما وصل إلينا من الروايات، كما يناقض طبائع الأمور!، فكيف فرع النحو ما لم تكن الأصول قد وضعت؟[27]

---

20 شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، (القاهرة: دار المعارف، ط5، 1968م)، ص14.

21 شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص15.

22 شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص16.

23 فؤاد حنا ترزي، **في أصول اللغة والنحو**، (بيروت: دار الكتب، 1969م)، ص110.

24 محمد بن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص12.

25 محمد بن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص14.

26 أبو طيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص12.

27 انظر: طلال علامة، **تطور النحو العربي: في مدرستي البصرة والكوفة**، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1993م)، ص41 وما بعدها.

وإن لم تكن العرب قد عرفت منطق الأرسطو إلا أنهم كانوا قد وصلوا في معرفة لغتهم درجة مرموقة وفقهوها وقد ارتقوا في أشعارهم وخطبهم وتفننوا في أساليب بيانهم، كما وقفوا على من تجاوز عن حدودهم وما تواضعوا عليه، ويدل على هذا ما وصلنا من نقد الشعر في سوق عكاظ وغيره من الأماكن، سواء كان من محاكمة النابغة في الشعراء الثلاثة، أو الإقواء الذي وقع في شعره،[28] أو ما وصل إلينا من أخبار امرئ القيس وطرفة وعُدي وقس بن ساعدة والنابغة وأمية ولبيد وعمرو بن أحمر وغيرهم[29]. فلم يكن وصولهم إلى فهم لغتهم فجأة وإنما مر على مراحل متعددة حتى وصل إلى أيام أبي الأسود وقد بدأ اللحن ينتشر في أوساط المجتمع الإسلامي ويسري إلى لغة القرآن الكريم، فكان منهم أن أسرعوا إلى تدارك الأمر، وقد انتبه إليه ولاة الأمور أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وزياد بن أبيه على اختلاف الروايات، وكان عمل أبي الأسود نتيجة طبيعية لهذا الأمر، وهو من القرّاء ومن أعرف أهل زمانه باللغة، شعرها ونثرها يقول عن نفسه: "إني لأجد لِلَّحن غَمَرًا كَغَمَر اللحم"[30].

ولهذا نؤيد رأي الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح "أن ما نسب لأبي الأسود من القواعد الأولية التي تخص الوظائف النحوية الثلاث الأساسية وعلاماتها من النقط هو صحيح، ولم تبق حبرا على ورق فقد فتح أبو الأسود بذلك الباب للنظر المتواصل في النص القرآني ولا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا. وقد تجمعت، بعد ذلك، النتائج بسرعة عجيبة، يدل على ذلك هذا المستوى العالي الذي تتصف به أقوال ابن أبي إسحاق وأبي عمرو خاصة. ولا بد إذن أن يكون تلاميذ أبي الأسود ـــ وكانوا شيوخا لهذين العلمين ـــ قد قطعوا أشواطا بعيدة في تحليل اللغة العربية من خلال استنباطهم للأصول وحصل ذلك في مدة قصيرة ما قبل (69 إلى زمان وفاة تلميذه نصر بن عاصم في عام 90)"[31].

وبعد هذا السرد التاريخي للروايات، نرى أنه كان من تواضع المسلمين الأوائل أنهم كلما تعلموا حرفا من أحد اعتبروه شيخا ومعلما لهم، فكيف بأبي الأسود وهو يرى في علي ـــ رضي الله عنه ـــ نموذجا يحتذى به، وقد أخذ عنه القراءة وروى عنه. فلا نستبعد أن يكون علي ــ رضي الله عنه ــ هو الذي أرشده في بعض جوانب النحو كما ورد في الرواية، وهو نسب إليه بحبه وولائه له، تأدبا وتواضعا منه.

وبما أن أغلبية الروايات تشير إلى أولية أبي الأسود بوضع النحو ونقط المصحف، نرجح أنه هو أول من وضع

---

28 انظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، (القاهرة: دار الحديث، 1423هـ)، ج1، ص96 و332.

29 انظر: طلال علامة، **نشأة النحو العربي: في مدرستي البصرة والكوفة**، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1992)، ص58 وما بعدها.

30 محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، **إيضاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1971م)، ج1، ص 31. والزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: دار المعرفة، ط2)، ج3، ص145.

31 عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، (الجزائر: موفم للنشر، 2012م)، ص20.

النحو العربي وصحيفته ـ بغض النظر عن حجمه ـ ضاعت كما ورد في رواية ابن النديم، وقد أخذ عنه: عنبسة الفيل، يحيى بن يعمر، ميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز وعطاء بن أبي الأسود.[32]

تشكيك المستشرقين بأصالة النحو العربي

هذا الذي ذكرناه يتعلق بكتب الطبقات والمصادر التاريخية لدى المسلمين نقله علماء اللغة والأدب وأصحاب الطبقات الذين اعتنوا بحياة العلماء الذين أسـهموا في بدايات العلوم وأبدعوا ببنات فكرهم في خدمة الدين الجديد وحفظ القرآن الكريم من اللحن فيه وحسن تعلم اللغة العربية سبيلا وحيدا لفهم القرآن والتفقه في الدين.

وأما نفر من المستشرقين الذين اعتنوا بدراسة العلوم لدى المسلمين وجاءوا في وقت متأخر يتدارسون اللغة العربية وينبشون كتب التراث العربي ليجدوا ما يعينهم على أفكارهم تجاه الإسلام الذي كانوا يظنون أنه تلفيق من الديانات السابقة سواء كانت ديانة سماوية كاليهودية والمسيحية أو ديانة وضعية كالزردشتية والمانوية وغيرها من الأديان السائدة آنذاك.

فنظر بعضهم إلى التراث الإسلامي على أنه مأخوذ من الثقافات الأجنبية، وعليه فليس عجيبا بأن جاء في "موجز دائرة المعارف الإسلامية" في ترجمة أبي الأسود الدؤلي "أن بعض أشعاره موضوع. ويصدق هذا على القول الشائع الذي اخترعه بعض فقهاء لغة المذهب البصري، وهو أن أبا الأسود أول من وضع قواعد النحو العربي وابتدع ضبط القرآن"[33]. وأما القول بانتحال الشعر قد نوقش في كتب التراث قديما وبحث بحثا دقيقا حتى أمعن النظر فيه علماء أجلاء أمثال ابن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" فضلا عن إثبات وجود هذا النوع من الشعر، بيّن العلل التي جعلتهم ينتحلون الشعر كما عرّف الأدوات التي تعين على معرفته[34]. فوجود شعر موضوع منسوب إلى شاعر لا يثبت عدم شاعريته. فإن كان لأبي الأسود شعر منتحل لا يدل على أنه لم يكن أول من وضع العربية وابتدع ضبط القرآن، بعد ما نجد هذا الحجم الكبير من الروايات الصحيحة تسجل أوليته في هذا المجال، لا سيما أن ابن السلام الجمحي يذكر أنه أول من أسس العربية، وهو أدرى أهل زمانه بالشعر المنحول.

ومما ورد من أقوال المستشرقين قول الفرد فون كريمر: "وهناك رواية يتناقلها الناس في أغلب الأحيان وبمقتضاها كان تسرب الفساد إلى اللغة العربية في البصرة هو السبب في ضرورة وضع قواعد للنحو لإنقاذ اللغة العربية من

---

32 انظر: ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص22.19. وجمال الدين القفطي، **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1982م)، ج1، ص41. ج2، ص380. ج3، ص337.

33 م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، (1998م)، ج1، ص290.

34 انظر: ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، مقدمة الكتاب.

الاضمحلال والفساد في المستقبل. ولا حاجة بنا هنا إلى القول بأن هذه الرواية لا يعوّل عليها إطلاقا ولا أساس لها، فالنحو العربي من وضـــع الأجانب من الآراميين والفرس، وقد أوجدته الحاجة التي أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية، وقراءة اللغة العربية على وجه صـــحيح، وعلى الأخص غير العرب الذين أرادوا أن يكرســـوا حياتهم للدراســـات العلمية"[35]. فهذا الرجل يريد أن يرفض ما جاء به القرآن ويعتبره تلفيقا من الثقافات الموجودة آنذاك، ويقول عن قصة المعراج "أنها نسجت على منوال إحدى الأساطير المسيحية الخاصة برحلة النبي أشعيا إلى السماء التي ظهرت في عهد اضـــطهاد نيرون للمســـيحين"[36]. فمقالته تهدف إلى إثبات أن ما جاء به العرب ليس إلا تلفيقا من الثقافات الأجنبية، فطبعي أن يرفض ما يثبت الإبداع لدى المســـلمين العرب. ومما يثير الدهشـــة تمجيد المترجم العربي عليه واعتباره نموذجا لطلاب العربية لينتهجوا نهجه، "ولكي يرى فيه طلاب تاريخ المســـلمين نموذجا للأبحاث العلمية الدقيقة التي يجدر بهم أن يحذوا حذوها إذا أرادوا خدمة العلم خدمة صادقة منتجة"[37] فلا ندري متى أصبح التشكيك في الروايات وكتب التراث خدمة صـــادقة منتجة! وكيف هذه الروايات لا تعول عليها وكلامه معول عليه ثابت؟! وإن كان يعوزه دليل منطقي وشاهد علمي البتة.

وقد أعرب يوهان فك في كتابه "دراسات في اللغة واللهجات والأساليب" عن عدم اطمئنانه للروايات الواردة في هذا الشـأن[38]، ووصـف كارل بروكلمان أيضـا بداية وضـع النحو على يد أبي الأسـود الدؤلي والروايات الواردة فيها بالأساطير، وما يروى عن تلاميذ أبي الأسود الدؤلي يعتبره غامضا، ويرى بداية النحو مع طبقة أساتذة الخليل وسيبويه، بداية من عيسى بن عمر الثقفي. وما جاء عن أبي الأسود يعتبره أساطير لا يعول عليها، ولا يسعه الرد على ما جاء عن معاذ بن مسلم (188هـ) حيث كان يبحث في مسائل النحو، وكان له علاقة مع أبي مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان وقد كان يهجو النحويين لاشتغالهم بلغات الزنج والروم. فإن دل هذا على شـيء، فإنما يدل على تتبع الروايات التي تؤيد فكره ومبتغاه، وكأنه يريد أن يؤســس لنظرية أقرانه من المســتشــرقين في أن النحو العربي مأخوذ من الثقافات الأجنبية، فلما لم يجد في اللغة اللاتينية والهندية ما ينسب إليهما، راح يذكر من أثر اللغة الفارسية في تكوين علم العربية فمن الدلائل البارزة يذكر استعمال اسم الإشـارة في اللغة الفارسـية الوسـطى (اين = هذا)، في موضـع الضـمير (او =

---

35 فون كريمر، **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**، تعريب: مصطفى طه بدر، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ص 9089.

36 فون كريمر، **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**، ص 4.

37 فون كريمر، **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**، ص 4.

38 ويرى الروايات المتفرقة المتضاربة غير تاريخية بالمعنى الصحيح، فكل ما فيها أنها تشير إلى أن تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها كان الدافع الأول للملاحظات النحوية. (انظر: يوهان فك، العربية: **دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، التعريب: رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م)، ص21.)

هو)؛ وقد بقي هذا الاستعمال إلى اليوم[39].

وأما قوله في التشابه بين مصطلحات النحو العربي والمنطق اليوناني فلم تثبته الدراسات التي أقيمت في هذا الخصوص ما يرجح كفة ما ذهب إليه كارل بروكلمان وسنبين في هذا البحث، وأما تأثر العربية بالفارسية في استعمال اسم الإشارة في موضع الضمير، ولا شك أن هذا ليس من أثر الفرس، فقد تستخدم العرب اسم الإشارة في موضع الضمير، لأن كليهما يغني عن التكرار، ولا شك أن هناك فرقاً واضحاً في المدلول في التعبير بالضمير والتعبير باسم الإشارة[40].

وقد بحثوا عن صلة بين النحو العربي ونحو الملل الأخرى بكل أطيافها، إلى أن افترض بعض المستشرقين الألمان في مرحلة ما تأثر العرب بالتراث الهندي ونحو بانيني ـــ وقد يكون انبهار علماء النحو المقارن بالتراث الهندي وراء هذا الفرض. واستوقف هذا الفرض بعض الوقت بروكلمان ولكنه تخلى عنه هو وعامة الباحثين لقلة المؤيدات[41].

ولكن تأثر النحو العربي بالتراث الإغريقي مكث عليه نفر من المستشرقين وتبعهم بعض العرب المحدثين؛ وأول من أشار إليه هو إيناس جويدي (Ignazio Guidi)، لكن أدالبير مركس (Adalbert Merx) هو الذي دعّم هذا القول واستدل بالتقسيم الثلاثي للكلم: اسم وفعل وحرف. وإنياس جويدي، وجورج سارطون (George Sarton) في موسوعته، ولشتانستار (Lichtenstader) في دائرة المعارف الإسلامية.[42] و"هنري فلايش (Henry Flach) وإن كان يسلّم بأن النحاة العرب اقتبسوا تقسيمهم الثلاثي من منطق أرسطو، فإنه يهوّن من تأثير الفلسفة والمنطق اليونانيين في النحو العربي لأنه يقرّ على طريقته الخاصة به، بأن الخليل وسيبويه وكل هذا الجيل الأول لم يباشروا النحو العربي بمنهج الفلاسفة"[43]. وقد تابع المستشرقين في هذا كل من إبراهيم مدكور، وإبراهيم أنيس، ومهدي المخزومي، وأمين الخولي، وعبد الرحمان أيوب ورشاد الحمزاوي.[44]

---

39 انظر: كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، التعريب: عبد الحليم النجار، (القاهرة: دار المعارف، ط5، 1959م)، ج2، ص123 وما بعدها.

40 انظر: أسامة محمد موسى عبد الرزاق، **طعن المستشرقين في أصالة النحو العربي**، مجلة الجيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الرابع، العدد35، نوفمبر 2017م، ص60.

41 انظر: عز الدين مجدوب، **المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة**، (تونس: دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1، 1998م)، ص178.

42 انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص37.

43 عز الدين مجدوب، **المنوال النحوي**، ص179.

44 انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، (القاهرة: عالم الكتب، ط8، 2003م)، ص351. عز الدين مجدوب، **المنوال النحوي**، ص179.

النحو العربي عربي أصيل

ويقول الدكتور إبراهيم السامرائي في رده على كلام الدكتور إبراهيم أنيس: "ولقد فاته أن اليونانية تختلف نحوا وطبيعة عن العربية، ولم يكن واضع النحو عارفا أو متأثرا باليونانية بأي وجه من الوجوه، والقول بالتأثر باليونانية في الثقافة العربية الإسلامية شائع عند الكتاب المصريين، فإلى مثل هذا ذهب كل من الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور إبراهيم مدكور والدكتور إبراهيم سلامة .. والزعم باطل من أساسه. والقول بهذا التأثر نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين للمستشرقين في أقوالهم، فإلى مثل هذا ذهب (دي بور) في تاريخ الفلسفة في الإسلام"[45].

وأما شوقي ضيف وإن كان في كتابه "الفن ومذاهبه في النثر الأدبي" على وجود الصلة المقررة بين النحو العربي والمنطق اليوناني،[46] فإنه يرفض في "المدارس النحوية" وجود صلة مباشرة أو غير مباشرة بين النحو العربي والنحو اليوناني أو الهندي، ويرى أنه "لا يمكن إثبات شيء من ذلك إثباتا علميا وخاصة أن النحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أي نحو أجنبي، وكل ما يمكن أن يقال إنه ربما عرّف نحاة البصرة الأولون أن لبعض اللغات الأجنبية نحوا، فحاولوا أن يضعوا نحوا للعربية راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قد رقيت رقيا بعيدا بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية، وخاصة الفلسفة اليونانية وما يتصل بها من المنطق، مما دعم عقولهم دعما قويا، وجعلها مستعدة لأن تستنبط قواعد النحو وعلله وأقيسته"[47]. فلعله تأثر بآراء المستشرقين في الفترة الأولى ثم تبين له عدم صلة بين النحو العربي والمنطق اليوناني ولم تثبت عنده ادعاءاتهم ورجع إلى أنه ليست أية صلة بين النحو العربي والمنطق اليوناني مباشرة أو غير مباشرة.

وعليه، ما يتعلق بالتأثير اليوناني على النحو العربي، فلم يثبت لهم دليل ولا حجة، إذ مرحلة وضع النحو العربي متقدمة زمنيا على مرحلة الاتصال بالثقافة اليونانية، ويختلف طبيعة النحو العربي عن النحو اليوناني بشهادة علماء العربية وغيرهم من علماء اللغة.[48]

---

45 إبراهيم السامرائي، **دراسات في اللغة**، (مطبعة العاني، 1961م)، ص14-15.

46 شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، (القاهرة: دار المعارف، ط10، 1983م)، ص125.

47 شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص20.

48 I have made the point that it is unlikely that Sibawayh, who died circa 796 a.d., would have known the logic of Aristotle and been influenced by it, and this for two reasons: the first being that the Hermeneutics and the poetics were not translated into Arabic until approximately a century after the death of Sibawayhi; the Hermeneutics by Ishaq Ibn Hunayn (d. 910), the poetics by Matta Ibn Yunus (d. 940). The second reason is that the grammatical terms used by these two translators, with a few exceptions, either do not exist in the work of Sibawayhi or differ significantly from the terms which he employs, as may be observed from the following list"

(انظر: صالحة حاج يعقوب، **دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي**، (القاهرة: دار السلام، ط1، 2014م)، ص124.)

فلما لم يثبت دليل على تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني، رأى بعضـــهم أنه تأثر بالنحو اليوناني من طريق النحو السرياني، وهذا على اشتراكهما في فصيلة لغوية واحدة وهي السامية؛ فعليه ذهب فؤاد حنا ترزي إلى أن العرب أخذوا نحوهم من النحو الســرياني بعد ما رد أخذهم النحو عن العبرانيين، لأنهم لم يدونوا نحوهم إلا في القرن العاشــر الميلادي، وأن هؤلاء الســريان كانوا قد دونوا نحوهم قبل أن يوضــع النحو العربي، وتأثروا في ذلك بالنحو اليوناني، من بعض الوجوه، كما تأثروا بالفلسـفة والمنطق اليونانيين[49]، وذهب جرجي زيدان هذا المذهب: "إن السـريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب في أواســط القرن الخامس الميلادي، وأول من باشــر ذلك منهم الأســقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب، المتوفى سنة 640م"[50]، كما يرى أحمد حسن الزيات هذا الرأي حيث يقول: "والغالب في ظننا أن أبا الأسـود لم يضـع النحو والنقط من ذات نفسـه وإنشـائه، وإنما يرجع أنه ألمّ بالسـريانية (وقد وُضع نحوُها قبل العربية) أو اتصل بقساوستها وأحبارها فساعده ذلك على وضع ما وضع"[51].

فما قاله المســتشــرقون وتبعهم بعض العرب في تأثر النحو العربي بالنحو الســرياني، فمرده إلى أنهم حينما رأوا النحو العربي قائما على أصـــول علمية وقواعد منضـــبطة، قالوا بأنهم لابد وأن اطلعوا على التراث الأجنبي ولاســـيما اليوناني، كأنه لا تقم دعائم لأي علم إلا على المنطق اليوناني، فأما عن الأسقف يعقوب الرهاوي فهو ولد سنة 640م وتوفي سـنة 708م، فلا يعقل أن أبا الأسـود قد أخذ عنه النحو، فإنه توفي قبل الرهاوي بعشـرين سـنة، وكما جاء في الروايات أنه وضـع النحو في نصـف الأول من القرن الأول الهجري أي قبل عشـرين سـنة على أقل التقدير من وفاته، وهذا يدل على أنه وضـــع النحو قبل وفاة الرهاوي بأربعين ســـنة، أي أنه وضـــع النحو ولم يكن يعقوب الرهاوي قد اكتمل الثلاثين من عمره.

لم لم نذهب إلى أن النحو الســـرياني قد أخذ من النحو العربي؟ فلربما اطلع يعقوب الرهاوي على صـــنيع أبي الأسـود الدؤلي وتلاميذه واسـتلهم ما عندهم وما وجد من التراث اليوناني في اللغة السـريانية أمده في وضـع كتابه، فقد ذكر القس جرجس الرزي أن الســـريان أخذوا عن العرب في المراحل المتقدمة بعد ما تطور النحو العربي، "والظاهر أن نحاة الســــريان أخذوا ينهجون نهج نحاة العرب بعد أن تطور النحو العربي تطورا كافيا. ولعل أول من فعل ذلك منهم إلياس الطيرهاني المتوفى ســـنة 1049م"[52]، وما ظهر من تشـــابهات بين النحوين يرجع إلى أنهما من فصـــيلة لغوية واحدة، وأن الســـريان وإن تعرفوا على التراث اليوناني قبل العرب إلا أنهم بدأوا بكتابة نحوهم متأخرا، وأما النحو العربي

---

49 انظر: فؤاد حنا ترزي، **في أصول اللغة والنحو**، ص110.

50 جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص251.

51 أحمد حسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، (بيروت: دار المعرفة، ط7، 2001م)، ص149.

52 فؤاد حنا ترزي، **في أصول اللغة والنحو**، ص117، نقلا عن القس جرجس الرزي من "الكتاب في النحو واللغة الآرامية السريانية الكلدانية وصرفها وشعرها".

قد أقيمت دعائمه قبل أن وصل التراث الإغريقي ومنطق أرسطو إليهم، في حين أن السريان لما رأوا من نشاط العرب العلمي وتطورهم في العلوم المختلفة ظهرت كتاباتهم.

هذا بالنسبة إلى الروايات التي وردت وما أثار المستشرقون حولها من شكوك، وتبعهم عليها العلماء المحدثون، وأما الذي جاء في تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني سواء بالطريقة المباشرة أو غير المباشرة فإنها كما أسلفنا لا تقم على دعائم منطقية وقد تصدى لها غير قليل من العلماء.

وقد تناول عبد الرحمن الحاج صالح تأثير منطق أرسطو على النحو العربي بدراسة مستفيضة، وقد أثبت أن ما جاء من كتابات أرسطو "باري أرمينياس" (العبارة)، و"الشعر" و"الخطابة"؛ لم نحصل في "العبارة" على أقسام الكلام غير ما ذكره عن الاسم (ONOMA) والكلمة (RHEMA)، وأما في كتاب "الشعر" تناول أقسام الكلام بشيء من التفصيل فقال: "عماد المقولة بأسرها وأجزاء الأسطُقُسات هي هذه: الاقتضاب، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، التصريف، القول"، فإذا استثنينا الاقتضاب وهو المقطع (syllable) والتصريف ومعناه عنده التصرف الإعرابي والقول وهو الجملة بقي الاسم والكلمة والرباط والفاصلة فهذه أربعة أقسام لا ثلاثة ... فإن نسبة التقسيم الثلاثي إلى أرسطو قد انفرد بها رجل واحد[53] ثم نقل ذلك رجل آخر[54] من النحاة الرومان ولا نعلم أن أحدا نقل ما كتبه هذان الرجلان إلى العربية أو إلى السريانية. وقد أكد هاريس (J. Harris) في كتابه "Hermes" المشهور أن أرسطو لم يقسم الكلام إلى ثلاثة أقسام كما يدّعيه ديونسيوس الهالكرناسي وكوانتيليانوس بل إلى أربعة أقسام بالاعتماد على التصفح الكامل لكتبه، ومهما كان فإن هذا القول هو مجرد تأويل، ثم إن الفارابي لم ينسب إلى أرسطو بالذات التقسيم الثلاثي وإن كان يميل إلى علاج الأجزاء غير الاسم والكلمة على أنها قسم واحد ويسميها "الأدوات" في كل مناسبة. ويذكر كثيرا التسمية العربية: "حروف المعاني" ولا شك في أنه كان متأثرا في ذلك بما سمعه من ابن السراج إذ نستبعد أن يكون ذلك من كلام ديونسيوس التراقي. وكان قد اشتهر تقسم النحاة العرب القدامى للكلام في عهد الفارابي منذ زمان طويل في جميع الأوساط العلمية العربية.[55] فالذي يوضح أن العرب في تقسيمهم الثلاثي للكلام لم يتأثروا بأرسطو ولا التراث اليوناني إذ لم يصل لهم ما يدل على التقسيم الثلاثي أولا، وثانيا لم يقسم أرسطو نفسه الكلام إلى ثلاثة أقسام.

ويضيف عبد الرحمن الحاج صالح، أن أقدم ما وصل إلى العرب من كتب أرسطو، ما قدمه عبد الله بن المقفع الذي ترجم الكتب الثلاث إلى اللغة العربية بتصرف، وهي: كتاب المقولات (قاطيغوريا) والعبارة (باري أرمينياس) والتحليلات الأولى (أنالوطيقا الأولى). وكان ابن المقفع (ت 139هـ) معاصرا بأكبر النحاة العرب مثل أبي عمرو بن

53 ديونسيوس الهالكرانسي (Dyonisios of Hallicarnas) نحوي يوناني سكن رومة. كان موجودا فيها سنة 30 قبل الميلاد.

54 كوانتليانوس (Quintilianus) وهو لاتيني، ألف كتاب: DE INSTUTIONE ORATORIA في الخطابة.

55 انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص57،49.

العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وغيرهم. فإن كان للنحاة العرب اتصال مع التراث اليوناني، فلعله من طريق ابن المقفع وما ترجم إلى العربية، وهو ذكر في كتابه ثمانية أقسام للكلام، مع أننا لم نجد في الكتب الثلاث إلا الاسم والكلمة (ويسميها ابن المقفع الحرف)، فأغلب الظن أنه اطلع على كتاب ديونسيوس التراقي (فن الغراماطيقي) وقد تُرجم إلى السريانية، ولعله تُرجم إلى الفارسية أيضا. وقد أوضح أنه لا يوجد في النحو العربي من هذه المصطلحات إلا لفظتا "الاسم" و"الكلمة"، كما لا نجد أي تقسيم ثلاثي في كتاب أرسطو سواء في النص الأصلي لكتابي "العبارة" و"الشعر" أو في النص المترجم القديم، فضلا عن اختلافهم في الكلمة (الفعل عند العرب)؛ فأرسطو لا يعتبر الفعل بالنفي أو الفعل بصيغة غير الخبر، فلا تدخل الجملة الإنشائية في اهتمامه. وأما الفعل عند العرب يحتمل كل ما يمكن أن يتصور من أحداث حادثة في زمان، وبعبارة أخرى الفعل يدل دائما على حَدَثٍ حَدَثَ أو هو بصدد الحدوث الآن أو سيحدث مستقبلا إيجابا وسلْبا، واجبا وغير واجب[56]. كما أن الحرف عند سيبويه "ما جاء لمعنى" وهو ما لا يدل عليه الاسم والفعل كالنفي والتوكيد والاستفهام وغير ذلك من معاني النحو، وهذا ما لا نجده في منطق أرسطو في نصه الأصلي. هذا فضلا عن، أن سيبويه لم يعرف الاسم في كتابه، فلو أخذ سيبويه علمه عن منطق أرسطو للزم أن يقول في تعريف الاسم أنه ما لا يدله على زمان كما فعل بعض النحويين الذين تأثروا بالمنطق بعد القرن الرابع الهجري.[57] وقد ردت صالحة يعقوب في دراستها "صفاء النحو العربي من التأثيرات الأجنبية" على كلام مركس (A.Merx) باختلاف تقسيم العرب الثلاثي للكلام والتقسيم اليوناني، وذكرت آراء بعض المستشرقين الذين ضعّفوا الآراء التي ترى تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو، فيرفض كارتر (M.g.carter) وجود صلة مباشرة أو غير مباشرة بين النحو العربي والنحو اليوناني، إذ اهتمام كل من أرسطو وسيبويه بـ "الحرف" يختلف عن الآخر.[58] فالذي يوضح لنا من هذا، أن المفاهيم التي وردت عند النحاة الأوائل وسيبويه، تختلف عما جاء في منطق أرسطو ولاسيما أنها مفاهيم عن أجزاء الكلم الثلاثة؛ الاسم، والفعل، والحرف.

ويرجع الاختلاف إلى أن كل واحد منهما (سيبويه وأرسطو) قد نظر إلى اللغة نظرة تختلف عن غيره؛ نظر أرسطو إلى اللغة أداة في القياس المنطقي واهتم بها حسب ما تساهم في إقامة الحكم، وأما سيبويه وعامة النحاة العرب ينظرون إليها نظرة لغوية غرضها إيصال رسالة ما إلى الآخر، فقد رأوا من أهداف الدراسة النحوية إفادة المخاطب

---

56 من اصطلاح سيبويه ويقابله الخبر والإنشاء. (انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص65).

57 انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص 6758.

58 The most obvious weakness of the Greek hypothesis is that it has never been confronted with Arabic grammar itself or rather, that the Hellenists have never defined the kind of Arabic grammar itself or rather, that the Hellenists have never defined the kind of grammar which they claim was borrowed from Greek.
(انظر: صالحة حاج يعقوب، **دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي**، (القاهرة: دار السلام، ط1، 2014م)، ص123 وما بعدها.)

معنى الخطاب وإيصال الرسالة فإذا اقتصر عن هذه الوظيفة حصل الفساد كما يرى ابن هشام في المغني،[59] سواء كانت الجملة خبرية أم إنشائية، أي أنهم لم يفصلوا بين المبنى والمعنى في التحليل النحوي.

ومما يناقض مسألة التأثر بالنحو اليوناني، أن الإسناد يختلف مفهومه عند النحاة الأوائل عما نجده عند أرسطو، فليس هو حمل محمول على موضوع كما ذهب إليه أرسطو وقد خلّط بينهما النحاة الذين تأثروا بالمنطق بعد القرن الرابع الهجري،[60] ثم كيف لم يستعمل النحاة الأوائل هذين المصطلحين (الموضوع والمحمول) في كتبهم وهما موجودان في كتب المنطق بالعربية، وجاء المسند إليه! فقط عند ابن مقفع، في حين أن النحاة استعملوا المسند والمسند إليه؟ و"لو كان مصطلح المسند إليه الذي ذكره ابن المقفع خاصا بالنطق اليوناني وليس الأمر كذلك. ودليل أول على عدم استعارتهم له هو أنهم لم ينتبهوا (النحاة الأولون منهم) مثل ما فعل أرسطو بالنسبة إلى غرضه وهو أن غرضهم هو لغوي وأن المسند والمسند إليه هما أعم من المفهومين اليونانيين. ولم يشيروا أبدا إلى أن غرضهم لم يكن أبدا التمييز بين الصدق في تحليلهم للكلام. فماذا يحذر أرسطو من التخليط بين الجانبين اللغوي والمنطقي ويسكت العرب عن هذا وقد زعموا أنهم اقتبسوا من أرسطو هذه المفاهيم؟"[61] والذي نراه وذهب إليه عبد الرحمن الحاج صالح هو أنهم لم يأخذوا هذين المصطلحين ولم يستخدموهما عندهم، رغم وجودهما عند المناطقة العرب، فالإسناد يشمل النسبة التي في الكلام الخبري والإنشائي، أي أنه أعم وأشمل[62] مما نجد عند أرسطو في قضية الموضوع والمحمول. والذي يرجح هو أن ابن المقفع اقتبس هذه المصطلحات من النحاة العرب الأولين، كما ورد عنده مصطلحات أخرى مثل "حلْية" بمعنى الصفة المميزة، وهذا "الكلام جائز مستقيم"، و"يستقيم"، و"جائز وحسن"، وهو الذي استعمل "المشتق" ولا يوجد إلا عند النحاة واللغوين العرب، كما استعمل عبارات تكثر ورودها عند النحاة "هذا النحو من الكلام" أو "الضرب من الكلام"، وأما ألفاظ ابن المقفع الدالة على مفاهيم المنطق ومفاهيم النحو اليوناني، لم يستعرها النحاة العرب الأوائل؛ فإن كانوا تأثروا بما ورد عند ابن المقفع لما انفردوا بأخذ "المسند إليه" وترك الموضوع والمحمول.[63] وما يتعلق بالإسناد وقضايا نحوية أخرى وردت في كتاب سيبويه، ليست كلها من سيبويه فقد يروي عن شيوخه الذين لم يصلهم أي أثر من آثار المنطق اليوناني.

---

59 مَتى بني فِيهَا على ظَاهر اللَّفْظ وَلم ينظر فِي مُوجب الْمَعْنى حصل الْفساد. انظر: ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (دمشق: دار الفكر، ط6، 1985م)، ج1، ص686.

60 عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص65 وما بعده.

61 عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص 69.

62 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: **دراسة دلالية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2005م)، ص177.

63 عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ص 69.

ثم ما كان من نظرية العامل ودورها في النحو العربي خير دليل على عدم تأثر النحو العربي بالنحو الأجنبي، وليس صحيحا ما نلاحظ عن أثر النحو العربي في الدراسات الحديثة والعلماء المحدثون يعتبروه من القدر المشترك يقع بالضرورة، ثم تتبع أي أثر في النحو القديم ليعتبروه من التأثر يقع بالضرورة![64]

فبهذا يتبين أن النحاة العرب لم يأخذوا ولم يتأثروا بالنحو اليوناني في تقسيمهم الثلاثي للكلام، كما تختلف المفاهيم التي أطلقوها على بعض الألفاظ والمصطلحات مثل: أجزاء الكلم الثلاثة، و"الموضوع والمحمول" و"المسند والمسند إليه"، إذ تختلف نظرة كل فريق إلى اللغة عن غيره؛ وبما أن الدعاوي التي طرحها المستشرقون وتبعهم بعض العرب المحدثين لم تقم على حجة منطقية ودليل واضح، فإنها واهية لا قيمة لها، فإن النحو العربي، عربي في نشأته ووضع أصوله، ولم يتأثر النحاة الأوائل في وضعهم النحو بأي وجه من الوجوه بالنحو الأجنبي ونحاته.

خاتمة:

ويرى الباحث بعد استعراض هذه الروايات والآراء والاستدلالات بأن النحو العربي نشأ في بيئة عربية، وضع بداياته وأصوله أبو الأسود الدؤلي، ووسع تلامذته فيها وكانوا أكثرهم من قرّاء كتاب الله الكريم، وأخذ عنهم ابن أبي إسحاق وأضاف عليها وفرعها وعلل قياسها. وقد اهتموا بوضع هذا العلم لما رأوا انتشار اللحن في أوساط المجتمع العربي بين العرب والعجم، وحاجة تعلمها للناطقين بغيرها، وحفظ القرآن الكريم من سوء الفهم. ولعل الذي ورد من أبي الأسود الدؤلي من نسبة النحو إلى علي ـ رضي الله عنه ـ هو من تأدب علماء الإسلام الأوائل وتواضعهم تجاه من أخذوا عنهم ولو حرفا.

وما ذهب إليه المستشرقون وتبعهم من العرب المحدثين، من تأثر النحو العربي بالتراث الأجنبي من اليونان، والسريان، والهند والفارس، ورفضهم للروايات الموثوقة في كتب الروايات والطبقات في نشأة النحو العربي، فلا تقم ادعاءاتهم على حجة وبرهان، ولا قيمة لرفضهم في هذا المجال؛ إذ ما وجدنا في التراث القديم العربي واليوناني يدل على اختلاف واضح في تقسيم الكلام عند نحاة العرب وأرسطو، واختلاف المفاهيم التي ورد عند كل منهم، واختلاف نظرتهم إلى اللغة حيث أن أرسطو أرادها أداة في القياس المنطقي وإقامة الحكم، فلم يتعدى الكلام الخبري، في حين أن سيبويه وعامة النحاة العرب رأوا في اللغة غرضا وظيفيا، وعليه استوعبت نظرتهم الكلام ـــ أو الجملة عندهم كوحدة مستقلة في دراساتهم النحوية ـــ الخبري والإنشائي معا، فأصبحت نظرتهم أعم وأشمل إذ أن كل إخبار إسناد وليس

64 يمهد نهاد الموسى منذ بداية الكتاب أنه ما جاء في الدراسات الحديثة موافقا مع التراث العربي، يعد قدرا مشتركا يقع بالضرورة، ويعتبره بديلا راجحا عن القول بتأثير تلك المناهج بعضها في بعض، أو أخذ أصحابها بعضهم عن بعض. (نهاد الموسى، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، (الأردن: دار البشير، ط2، 1987م)، ص 11).

العكس صحيحا.

وأخيرا نذهب مع جمع من العلماء المحدثين وبعض المستشرقين المنصفين إلى أن النحو العربي لم يتأثر في نشأته ووضع أصوله بالمنطق اليوناني مباشرة وغير مباشرة؛ إذ لم يثبت تشابه بين تقسم الكلام الثلاثي في النحو العربي وتقسم الكلام الأرسطي، وما يوجد من خلاف بين بعض المصطلحات والمفاهيم النحوية التي أطلق النحاة العربي الأوائل عليها، فعليه فإن النحو العربي، عربي في نشأته ووضع أصوله، ولم يتأثر النحاة الأوائل في وضعهم النحو بأي وجه من الوجوه بالنحو الأجنبي ونحاته.

المراجع

إبراهيم السامرائي، **دراسات في اللغة**، (مطبعة العاني، 1961م).

ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).

ابن الأنباري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (الأردن: مكتبة المنار، 1985م).

ابن النديم، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1997م).

ابن جني، **الخصائص**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د ت).

ابن حجر العسقلانى، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط3، د.ت).

ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط1، 1971م).

ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني، د.ت).

ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، (القاهرة: دار الحديث، 1423هـ).

ابن قتيبة، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م).

ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (دمشق: دار الفكر، ط6، 1985م).

أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، ط2، د.ت).

أبو طيب اللغوي، **مراتب النحويين**، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر العربي، د.ت).

أبو عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م).

أحمد حسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، (بيروت: دار المعرفة، ط7، 2001م).

أحمد مختار عبد الحميد عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، (القاهرة: عالم الكتب، ط8، 2003م).

أسامة محمد موسى عبد الرزاق، **طعن المستشرقين في أصالة النحو العربي**، مجلة الجيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الرابع، العدد 35، نوفمبر 2017م.

أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، **البصائر والذخائر**، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، (دمشق: مكتبة أطلس، 1965م).

جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، (القاهرة: دار الهلال، د.ت).

جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

جمال الدين القفطي، **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1982م).

الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: دار المعرفة، ط2، د.ت).

سعيد الأفغاني، **من تاريخ النحو**، (الكويت: مكتبة الفلاح، 1980م).

شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، (القاهرة: دار المعارف، ط10، 1983م).

شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، (القاهرة: دار المعارف، ط5، 1968م).

صالحة حاج يعقوب، **دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي**، (القاهرة: دار السلام، ط1، 2014م)

طلال علامة، **تطور النحو العربي: في مدرستي البصرة والكوفة**، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1993م).

عبد الرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، (الجزائر: موفم للنشر، 2012م).

عبده الراجحي، **دروس في المذاهب النحوية**، (بيروت: دار النهضة العربية، ط2، 1988م).

عز الدين مجدوب، **المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة**، (تونس: دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1، 1998م).

فؤاد حنا ترزي، **في أصول اللغة والنحو**، (بيروت: دار الكتب، 1969م).

فون كريمر، **الحضــارة الإســلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**، تعريب: مصــطفى طه بدر، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت).

كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، التعريب: عبد الحليم النجار، (القاهرة: دار المعارف، ط5).

م. ت. هوتسـما، ت. و. أرنولد، ر. باسـيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسـلامية**، (مركز الشـارقة للإبداع الفكري، 1998م).

محمد بن الحســـن الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط2، د.ت).

محمد بن القاســم بن محمد بن بشــار أبو بكر الأنباري، **إيضــاح الوقف والابتداء**، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1971م).

مســعود صــحراوي، التداولية عند العلماء العرب: **دراســة دلالية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللســاني العربي**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 2005م).

نهاد الموسى، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، (الأردن: دار البشير، ط2، 1987م).

يوهان فك، العربية: **دراســات في اللغة واللهجات والأســاليب**، التعريب: رمضــان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة الخانجي 1980م).